حكايات جنوبية

Quiska Story Studio

Scene 1

الحاجة ام حسّين عليق

جارة الليطاني وأيقونة الشقيف

Scene 2

للحاجة »أم حسين« قصص لا يحويها كتاب، فهي كانت حافظةً للسرّ أعمق من البئر، كانت كهفاً للمجاهدين يوم قلّ فيه الناصر، وكثر فيه الخصوم، قلبها الكبير لجأ إليه الكثير مِمّن أعاروا جماجمهم لله، أخفت عن كلّ من حولها أنّ في باطن المنزل نقطة لقاء وتجهيز وانطلاق لرجال الله نحو الثغور، كانت العين على العدو ماهرة في الاستطلاع، كانت فنانة في التمويه والتخفّي والتنقل بين حواكير ضفاف الليطاني وأوديته، كانت تعرف طريق النهر كتجاعيد كفّ يدها، كانت شريكة في النصر، بل من صنّاعه بوجه الاحتلال، قدّمت الشهيد تلو الشهيد، ولم تكل أو تمل من العطاء دون تردد أو ضعف أو وهن، فهي أم لشهيدين وجدّة لشهداء إثنين.

Scene 3

كانت ذاكرتها غزيرة بحيث تردد عليك زغاريد وأهازيج ومواويل سهرات الجنوبيين وتحفظها عن ظهر قلب، كانت بلسم لجروح أرواحنا، وحديثها عزف على قيثارة الحكمة والعزّة والعاطفة الصادقة. اكتسبنا زيارات الحجّة حسن عليق »أم حسين« مع غروب شمس ملتهبة من أيام آب على شاطئ صور، كونها جدّة زوجتي لوالدها، ثم استكملنا احاديثنا في منزلها في يحمر الشقيف.

Scene 4

يحمر التي لطالما غسل الليطاني أقدامها ولكنها لم تشرب منه قطرة، يحمر جارة الشقيف التي لطالما حوّل شيبها وشبابها ليالي ساكني قلعتها نار ودخان، وأبت إلا أن تتصدر سباق التحرير بين قرى الجنوب وقبلهم بأعوام. جلستُ والحاجة تحت شجرة العنّاب المحمرّة خجلاً من هيبة الدّار وساكنيها لتاريخهم ووقارهم. رحت أنهل من أعماق ذاكرتها قصصاً وعتابا وأهازيج جنوبية لطالما ردّدتها صبايا جبل عامل في سهرات الأفراح والسمر.

Scene 5

كنت أترجّى الحجّة أم حسين دائماً لتُسمعني بعض ما تحفظ وهي الحافظة بدقّة للعشرات، بل المئات من الردّات والزغاريد الجنوبية المميزة والتي أجادت إلقائها باحتراف مع اللّحن، وشرح المعنى والمغزى من كل تعبير وصورة. تخليداً لهذه الايقونة الجنوبية الاصيلة سأذكر القليل مما كانت تشاركه معي الحجة أم حسين:

»على دلعونة وعلى دلعونة، بيّ بيّ الغربة الوطن حنونا، بيّ بيّ الغربة وكل الغرايب.. بيّ يلي بتاخد من القرايب، لا روح ع الغربة وهيك الله رايد، وحبر بورق ما بيوصلونا...«

Scene 6

»إيه ويها أهلا وسهلا فيكن يا ضيوف، إي ويها ولو كنتوا ألوف ألوف، إي ويها لو يعرف فيكن أبو علي، ليدبحلكن خروف...«

»إي ويها بدارنا رمانة، إي ويها حلوة ودبلانة، إي ويها وريتا لتبغضك، إي ويها توقع بعينا الدبانة«

»إي ويها بدارنا نجاصة، إي ويها حلوة وغصاصة، إي ويها وريتا لتبغضك، إي ويها ويوقع بعينا رصاصة...«

»شعرك الأجعدي يا حظك الأسعدي، وشعرك الخيل يا حظك الويل...« ! يعني يلي شعرها مالس حظها مثل دبس الخروب)كما قالت الحجّة(

Scene 7

شاب يتودد لفتاة فيقول:

بدي قول جعيدية عالشاب وعالصبية، الشاب يقلها دخيلك أني جيلي من جيلك، لفيني بطرف منديلك ونقعد بوسط الفيّة...

شو ردتلو هي: قالتلو وسط الفيّة ما يسرك ويا ولد الله دلك، بتشكى عليك بضرّك والدولة فرنساوية.. كانت فرنسا هون!

شو بقلها: بأمرك ان تشكيتي، لعطيكي تلتين بيتي الأرضية والعليّة..

شو بدا تقلّو: بديش منك أراضي وان جبت المفتي والقاضي ومش رايح يعطيك بيي...!!

Scene 8

العروس من عائلة جابر والعريس من عائلة صفا)ما هني ولاد العم خيّ البيّ(تقول الحجة، واشتعلت الأيويها بين حسب ونسب العائلتين:

قالتلها: إي ويها نحنا من بيت جابر جدي على جدة نحنا الأصالة وكاملات العدّة، نحنا لبياخد مننا بيتأصل بيكيل الذهب العتيق بالمدّة. هيدي من بيت جابر.

قامت تبع بيت صفا، قالتها: إي ويها نحنا من بيت صفا ويلا السلامة، إي ويها مبيضين العمايم والعمامة، نحنا لبياخد مننا بيتأصل يوم ان كان ما بقولولو يا أخو فلانة...!

Scene 9

واختتمت الجلسة مع الحجة حُسن بموال لصباح غنّته لي مع الحان: وينك يا جار شرفنا ع الصبحية، القهوة ع النار عم ساويها بإيديي، الجيران كتار مجبور الجار بجارو، مش صعب الجار جارو يعرف أسرارو.. صار لصار ميات القهوة فارو، فارو ع النار فارو وحرقولي ديّي..

الحجة أم حسين نموذج خالد لأجمل الأمهات اللواتي ما بخلن يوماً من عرق ودم على أرضهنّ وأولادهنّ.